الأهرام

المصدر : الوسط

التاريخ : ٨ اكتوبر ٢٠٠١

ضواحي المدن الأوروبية منجم «الأفغان عرب»

لندن – حسن عواد

في ضواحي المدن الفرنسية الكبرى، حيث تعيش أكثرية من أصول مغاربية، ليس من الصعب «تجنيد» الشباب. يكفي ان يحتك شخص «ذو خبرة» بشاب عاطل عن العمل ويتظاهر بأنه «أخ مسلم» حتى يصبح الاثنان صديقين. هكذا تكون البداية، أما النهاية، فهي إما في السجن وإما في «المجهول»، لكن مروراً بالطبع ببيشاور وجوارها.

وقصة رضوان حمادي واسطفان آيت بدر ابني ضاحية باريس خير مثال.

في العام ١٩٨٩ كان رضوان في التاسعة عشرة. لم يكمل دروسه، من دون عمل، ولا يعرف كيف يقضي نهاراته الطويلة. وذات صباح اقترب منه شخص مستعلماً عن عنوان فرافقه رضوان ودار حديث انتهى باعطاء رضوان رقم هاتفه للصديق الجديد عبدالإله.

ولم يطل الوقت حتى اتصل عبدالإله برضوان فتلاقيا ودار حديث عن الدين وعن البوسنة وفلسطين والجزائر وافغانستان. وتكررت اللقاءات، وطلب عبدالإله من رضوان التعرف الى شبان آخرين، خصوصاً ممن يمارسون الرياضة، بينهم عبدالكريم.

وعلى مدى سنتين تكررت اللقاءات والأحاديث. الى ان كان يوم اقترح فيه عبدالإله على رضوان السفر الى افغانستان. «شعرت بأنه واجب فرضه القرآن الكريم أن أذهب للنضال»، كما قال لاحقاً.

كان عبدالكريم قد سبقه الى افغانستان. اشترى رضوان بطاقة سفر باريس – كراتشي – بيشاور مروراً بإحدى العواصم الخليجية. وعندما وصل الى وجهته النهائية كان صديقه عبدالكريم في انتظاره، فأقاما في «بيت الأنصار» في بيشاور مع حوالي عشرين شاباً عربياً بانتظار العبور الى مخيمات التدريب في افغانستان.

وفي افغانستان تنقل رضوان بين ثلاثة مخيمات، لكل واحد منها اختصاصه. في الأول تمرين على المسدسات الآلية والقنابل وقاذفات الصواريخ. وفي الثاني رماية بواسطة المنظار واستخدام المتفجرات. وفي الثالث تمرين على القتال. لكن المهم ان رضوان اكتشف اسماء تنظيمات جديدة في تلك المخيمات منها «التبليغ» و«التكفير والهجرة» و«الجهاد».

بعد عودته الى الضاحية الباريسية أخفى رضوان عن أصدقائه سبب غيابه الحقيقي قائلاً انه زار بلداً عربياً، وأصغى اليه اسطفان آيت بدر الذي لم يكن قد بلغ الثامنة عشرة بعد،

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

وبالكاد يعرف القراءة والكتابة، لكنه يحب رضوان كثيراً. وانضم اسطفان الى المجموعة بقيادة عبدالإله، ثم انضم شابان آخران. وسافرت المجموعة الى افغانستان حيث التقى اعضاؤها شباناً آخرين في مخيمات التدريب، لم يكونوا جميعاً بمستوى الحماس نفسه، حتى ان بعضهم عاد خائباً من هناك، معتبراً ان المغامرة انتهت عند هذا الحد.

لكن مغامرة رضوان واسطفان انتهت في المغرب، عندما هاجما فندقاً في مراكش في صيف ١٩٩٤ وقتلا سائحين اسبانيين، وقبضت عليهما الشرطة. وحتى الآن لا يزال ابنا ضاحية باريس في زنزانتين في أحد السجون المغربية يرفضان توقيع طلب العفو الملكي، فهما، على حد قول محاميهم، «كانا يقومان بواجبهما، ومن العار ألا يظن أحد أنهما لم يكونا مستعدين للتضحية بحياتهما».

قصة مرتضى الانكليزي ذي الأصل الباكستاني تختلف عن قصص أبناء الضاحية الباريسية، فهو جاء الى افغانستان على نفقته ليتعلم فن الرماية «مجاناً»، باعتبار ان هذا النوع من الرياضة مكلف جداً في لندن. هذا ما يقوله هو على الأقل، لكنه لا يوضح كيف اهتدى الى أحد مخيمات التدريب في افغانستان، ومن أرشده اليه ومن درّبه. والأدهى هل كان يتمرن على اصابة أهداف خشبية، عندما وقع في الأسر، أم على أهداف بشرية حقيقية؟

مرتضى يقبع حالياً في سجن تابع لتحالف المعارضة الافغانية في شمال البلاد. وهو يصر على انه يحب السلاح فقط لا القتال، مثلما يحب غيره كرة القدم أو السباحة. لكنه لا يصدّق نفسه انه في سجن وانه أمضى فيه حتى الآن اكثر من سنتين، ولا يدري ان كان سيخرج منه. هو الذي ولد في ضاحية لندن الشمالية وتزوج باكراً وأنجب. «كنت أعيش حياة هانئة. لدي عمل مستقر ومال وأصدقاء وسيارة ألفاروميو. لقد خسرت كل شيء. حكومة بلادي (بريطانيا) لم تسأل عني، وعائلتي لا أعرف شيئاً عنها. ومستقبلي في عالم المجهول».

يستغل مرتضى مرور فريق تلفزيوني في شمال افغانستان وزيارته سجناً تابعاً لقوات المعارضة، ليطلق نداء استغاثة علّ أحداً يهب لمساعدته. لكنه ليس الوحيد في السجن حيث عشرات الباكستانيين الذين أسرتهم قوات المعارضة، أثناء المعارك، وليس أثناء «التدريب على الرماية» كما يصر مرتضى على القول.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية